الرحمة بالأطفال
من المنظور الشرعي

إعداد

عبدالله بن سعد الفالح

مصدر هذه المادة :



دار طيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الرحمة بالأطفال من المنظور الشرعي

الحمد لله الـــــــذي كتب على نفسه الرحمـــة، وأصـــلي وأســـلم على من كـــان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا.

وبعد:

فـــإن الرحمة خلق عظيم وطبع نبيل لا يتصف بها إلا العظمـــاء، ولا يتخلى عنها إلا الجبابرة الأذلاء؛ ولذا فقد اتصف الــرب جل وعلا بهــا، وبها اتصف المصـطفى وكـانت ســمة بـــارزة في دين الحنيفية الســمحة، واتصف بها عباد الله المؤمنون الصادقون.

وإليك بيـــــان ذلك في نقـــــاط مختصرة:

1- الرحمة من صـــــفات الله عز وجل:

قـــال تعـــالى: ﴿ **وَإِذَا جَــاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُــونَ بِآَيَاتِنَا فَقُـلْ سَـلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِـــهِ الرَّحْمَـــةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَـابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَـحَ فَأَنَّهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 54].

ويقول جل وعلا: ﴿ **وَكَانَ بِـالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾ [الأحــــــزاب: 43] وعن عمر بن الخطـاب رضي الله عنه قـال: قـدم سـبي على النبي ﷺ فـإذا امـرأة من السـبي تحلب ثـديها تسـقي إذا وجـدت صـبيًّا في السـبي أخذته فألصـقته ببطنها وأرضـعته، فقـال لنا النـبي ﷺ: «**أتـرون هـذه طارحة ولـدها في النار؟**» قلنا: لا وهي تقــدر على أن لا تطرحــه، فقـال: «**لله أرحم بعبـاده من هذه بولدها**» رواه البخاري.

وعن أبي هريـرة رضي الله عنـه، قـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «**جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنـده تسـعة وتسـعين، وأنـزل في الأرض**

جزءًا واحدًا فمن ذلك الجـزء تـتراحم الخلق حـــتى ترفع الفـــرس حافرها عن ولـــدها خشـــية أن تصـــيبه» رواه البخاري.

فهذه النصوص دليل على أن الله رحيم يتصف بالرحمة على الوجه اللائق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى.

ولكن ينبغي التنبيه أنه لا ينبغي للمسلم أن يقع في المعاصي اتكالاً على رحمة الله، فـــإن من صـــفات الله كـــذلك أنه شـــديد العقاب.

قـــال تعـــالى: **نَبِّئْ عِبَـــادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُـورُ الـــرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَـــذَابِي هُـــوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** [الحجر: 49، 50].

فليحـــــذر المســـــلم، وليكن خائفًا من عـــــــــذاب الله وأليم عقابه راجيًا مغفرته ورحمته.

قال تعالى: **إِنَّ رَحْمَـةَ اللَّهِ قَـرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِـنِينَ** [الأعـراف: 56] وقـال

سبحانه: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ [طه: 82].

2- رحمة النبي ﷺ:

لقد وصف الله نبينا وحبيبنا وقدوتنا سيد ولد آدم ﷺ بخلق الرحمة والرأفة والشـــفقة ولين الجانب، وهذا دليل على أن هذا الخلق لا يتصف به إلا العظمــاء، ولا يتخلى عنه إلا الأقزام النذلاء.

قال الله عن نبيه ﷺ: ﴿ **لَقَدْ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مِنْ أَنْفُسِـكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْـهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة: 128].

وقال تعــالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيـظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّــوا مِنْ حَوْلِــكَ** ﴾ [آل عمـــران: 159].

3- الإسلام دين الرحمة واليسر:

قـــال تعـــالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَــلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبيـاء: 107] وقـال

تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: 78].

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: 57، 58].

وقال ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**» رواه البخاري.

4- الرحمة من صفات المؤمنين:

وصف الله عباده المؤمنين بهذا الخلق النبيل؛ قال تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ..** ﴾ [الفتح: 29].

وقال تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** ﴾ [المائدة: 54].

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» متفق عليه.

وهذا يدل على التواد والتراحم بين المؤمنين، أما على الكافرين فهو الشدة والعزة، وكلما كان الإيمان في قلب المؤمن كملت رحمته بعباد الله عز وجل، بل حتى بالحيوان فإن المؤمن يرحمه وله بذلك أجر كما في الحديث.

قال ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال**

الرجل لقد بلغ هـــــــــذا الكلب من العطش مثل الـذي بلغ مـني، فـنزل البئر فملأ خفه ماءً، ثم أمســكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشـكر الله له فغفر له» فقـالوا يا رسـول الله إن لنا في البهــائم أجـــرًا فقـــال: «**في كل كبد رطبة أجر**» متفق عليه.

فهـــــذا هو دين الإســــلام دين الرحمة والشفقة بالإنسـان بل الحيـوان، وقد سـبق أصـــــحاب جمعيـــــات الرفق بــــــالحيوان المزعومة، وقتلة الإنسان وتشريد الأطفـال والنساء.

حاجة المربي إلى الرحمة:

لما كــان الأنبيــاء عليهم من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم معلمين ومربين ودعاة إلى الله ومصــلحين، ربــاهم الله وصــنعهم على عينه، وجعلهم من أحسن النــاس خلقًا وأكـثرهم رحمة وشـفقة، ولما لـرعي الغنم من أثر في تهـــــذيب النفس وترقيق الطبع بعكس ما عليه رعاة الإبل من الكبر وجفـاء

الطبع ألهم الله الأنبياء رعي الغنم، يقــولﷺ: «**ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم**» فقــال أصــحابه وأنت؟ فقــال: «**نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**» رواه البخاري.

قال ابن حجر رحمه الله في شرح هــذا الحــديث قــال العلمــاء: الحكمة في إلهــام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمــــــرن برعيها على ما يكلفونه من القيــام بــأمر أمتهم؛ ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم من الحلم والشفقة ا.هـ.

ولقد كان نبينا ﷺ من أعظم النــاس خلقًا وأنبلهم طبعًا وأكثرهم شفقة ورحمة ﷺ قــال الله تعــالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَــــوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيــــظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّــوا مِنْ حَوْلِــكَ** ﴾ [آل عمــران: 159].

فهــــذا المصــــطفى ﷺ المؤيد من ربه بالمعجزات لو كان فظًّا غليظ القلب لانفض الناس عنه وتركوه فكيف بغيره؟ فما أحوج

المـــــــربي إلى الأخلاق الطيبة من الرحمة والشفقة والرفق والحلم والأناة وغيرها من كريم الأخلاق ولين الطباع.

وخاصة من يتعامل مع الأطفـــــال فهم أحوج النـاس إلى اللطف والشـفقة والرفق والرحمة لأنهم من المستضــعفين الــذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

ولذا أولاهم النـبي ﷺ عناية خاصة ورعاية حانية، يقول أنس رضي الله عنه: «ما رأيت أحدًا أرحم بالعيـال من رسـول الله ﷺ» رواه مسلم.

وعن أبي هريـــــــرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس رأى النبي ﷺ يقبل الحسن، فقـــال: إن لي عشـــرة من الولد ما قبلت منهم واحدًا، فقـال رسـول الله ﷺ: «**من لا يــرحم لا يــرحم**» رواه مســلم وقــال ﷺ: «**ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**» صحيح الجامع الصغير.

عن عبدالله بن بريـــــدة عن أبيه رضي الله عنها قـال: رأيت النـبي ﷺ يخطب فجـاء

الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصـان أحمـران يمشـيان ويعـثران فـنزل النبي فحملهما ووضـعهما بين يديه وقـال: «**إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هــــذين الصـــبيين يمشـــيان ويعــثران، فلم أصــبر حــتى قطعت حديثي ورفعتهما**» رواه الترمذي.

وعن أنس رضي الله عنه قـــال: قـــال رسول الله : «**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتهـــا، فأســـمع بكـــاء الصبي فأتجوز في صـلاتي مما أعلم من وَجْدِ أمه من بكائه**» متفق عليه.

الله أكــبر، الصــلاة قــرة عين النــبي وراحته يتجـوز فيها إذا سـمع بكـاء الصـبي، إنها الرحمة التي أودعت قلبه العظيم .

وعن عائشة رضي الله عنها قــــــالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنــتين لها فأطعمتها ثلاث تمــرات، فــأعطت كل واحــدة منهما تمـــــرة، ورفعت إلى فيها تمــــــرة لتأكلها فاسـتطعمها ابنتاهـا، فشـقت التمـرة الـتي

تريد أن تأكلها بينهمـــا، فـــأعجبني شـــأنها، فـــذكرت ذلك لرســـول الله فقـــال: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنـــــــة، أو أعتقها من النار**» رواه مسلم.

فينبغي للمـــــربي أن يتخلق بـــــالأخلاق الحســـنة، وأن يكـــون رحيمًا رفيقًا شـــفيقًا حليمًا صـــبورًا ســـهلاً لينًا قريبًا من المتعلم حريصًا عليه ناصحًا له.

وبذا يقوم بتلك الأمانة العظيمة، ويؤديها خير أداء، وينفع الله بتعليمه وتربيتـــه. وإليك طرقًا من أحـــاديث المصـــطفى في فضل حسن الخلق لعل ذلك يكـــــون دافعًا لنا في مجاهـــــدة النفس في التخلق بـــــالأخلاق الحســـــنة، فإنما العلم بـــــالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتصبر يصبره الله.

قـــال : «**ما من شـــيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلـــق..**» رواه الترمـــذي، وقـــال حديث حسن صحيح.

ويقول ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» رواه أبو داود.

ويقول ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**» رواه مسلم.

ويقول ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل**» رواه الترمذي.

ويقول ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» متفق عليه.

ويقول ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

ويقـــــول ﷺ: «**إن من أحبكم إلي وأقـربكم مـني مجلسًـا يـوم القيامة أحاسـنكم أخلاقًا**» رواه الترمـذي وقـال حديث حسن.

وقـال ﷺ: لأشج عبـدالقيس: «**إن فيك خصـلتين يحبهما الله ورسـوله الحلم والأناة**» رواه مسلم.

وقديمًا قيل: الحلم سيد الأخلاق.

اهتمام النبي ﷺ بالأطفال:

إن الملاحِظ لســيرة المصــطفى ﷺ مع الأطفال، واهتمامه بهم ليخيل إليه أن النبي ﷺ لا هم له ولا شأن له إلا الأطفال وهموهم، مع أنه يحمل همـــوم الأمة كلها في دعوتها إلى الله وتعليمها وتزكيتها فهو الـذي أنـزل عليه ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُـدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْـذِرْ** ﴾ وأنـزل عليه : ﴿ **إِنَّا سَـنُلْقِي عَلَيْـكَ قَـــوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ وأنـــزل عليه ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُـولُ بَلِّغْ مَا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَـالَتَهُ** ﴾ وأنـــزل عليـــه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِـدِ**

الْكُفَّارَ وَالْمُنَـافِقِينَ وَاغْلُـظْ عَلَيْهِمْ ﴾
وغيرها من الآيـــات الـــتي تحمله ﷺ أعبـــاءً وتكـــاليف جســـامًا عظامًا نـــاءت بحملها السموات والأرض والجبال وأشفقن منها.

ومع ذلك فللطفل من قلبه العظيم نصــيب، وله في قلبه الــرحيم مكــان؛ لأن طفل اليــوم رجل الغــد، فــإذا اهتم بهــذا الطفل منذ نعومة أظفـــاره وســـلامة قلبه وفطرتـــــه، وربي التربية الصــــحيحة ونشأ النشـــأة الســـليمة - نفعه الله بتلك التربية واستقام على الصلاح والتقوى.

قال الشاعر:

قد ينفع الأدب
وليس ينفعهم من
إن الغصون إذا
ولا يلينُ ولو لينته

قـــال قتـــادة رحمه اللـــه: (الحفظ في الصـــغر كـــالنقش في الحجـــر) ســـير أعلام النبلاء (5/275).

ولـــذا نجد النـــبي ﷺ اهتم بالأطفـــال وبشـؤونهم وهمـوهم مداعبة وتربية وتعليمًا في رحمة وشفقة ولطف ورفق ولين ﷺ.

ومن العجب أن بعض الـــدعاة وطلاب العلم ممن اشـتغل بالـدعوة أو بـالتعليم أو التـأليف ونحو ذلك من أفعـال الخـير - وهم على خير ونحسبهم كذلك - قصَّروا في حق أهليهم وأسـرهم وأطفـالهم، فليس لطفله من اهتمامه إلا اليســير إن وجـــد؛ لأنه مشـــغول ووقته لا يســمح بــذلك، ومن المعلـوم أنه لا يمكن لأحد أن يكـون أكـثر اهتمامًا بالـــدعوة أو التعليم من محمد ﷺ أخشى النـاس لله وأتقـاهم وأعلمهم بالله وأزكـاهم ﷺ، ومع ذلك فللأطفـال في قلبه مكان، ولأهله من اهتمامه نصيب.

وهو القائـل: «**خـيركم خـيرك لأهله وأنا خيركم لأهلي**» رواه ابن ماجة وابن حبان.

فـــالواجب على المـــربين والمعلمين والـــدعاة والمصـــلحين أن يهتـــدوا بهديه ويقتدوا بسنته ويسيروا على نهجه .

قــال تعــالى: **لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللَّهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَنْ كَـانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَـوْمَ الْآَخِـرَ وَذَكَـرَ اللَّهَ كَثِيرًا** [الأحزاب: 21].

فليأخـــذوا من معين التربية الصـــافي ممن لا ينطق عن الهـــوى إن هو إلا وحي يـوحى، من معلم البشـرية والـذي تخـرج على يديه خـير القـرون وأفضـلهم صـحابته رضي الله عنهم، الذين ما عــرف على وجه الأرض بعد الأنبيـــاء أفضل منهم رضي الله عنهم وأرضـــاهم.. فلنأخذ أصـــول التربية والتعليم من محمد وصحبه الكرام.

يقول الإمام مالك رحمه الله: (لا يصـلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).

ولندع عنا أفكار ونظريات قــوم لا خلاق لهم **إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَـــامِ بَـــلْ هُمْ أَضَـلُّ سَـبِيلًا** [الفرقـان: 44] يوصـفون

في الدنيا بأنهم أصحاب الفكر والعقل وفي الآخرة: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الملك: 10] فلنعد لسيرة نبينا ﷺ لنهتدي بهديه، ونسير على نهجه، ونستلهم منه طرق التربية وأصولها، فهو معلم البشرية أحسن الناس تعليمًا، وأنجحهم تربية وتأديبًا.

يقول معاوية بن الحكم عنه ﷺ: «**فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه..**» رواه مسلم، ففي سيرة نبينا ﷺ وسير أصحابه والسلف الصالح غنية عن أفكار أولئك وسفه أحلامهم.

صور من تعامل النبي ﷺ مع الأطفال ورحمته بهم

1- السلام عليهم:

السلام اسم من أسماء الله عز وجل فيه البركة والخير والأمان من كل آفة وشر، نشره وإفشاؤه في المجتمع يؤدي إلى التحاب والتواد والألفة، يقول ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» رواه مسلم.

ولذا كان من هديه ﷺ السلام على الصبيان، عن أنس رضي الله عنه أنه مر بصبيان فسلم عليهم، وقال: كان النبي ﷺ يفعله. متفق عليه.

فكم سيكون للسلام على الصبي من أثر في نفسه إذا سلم عليه المعلم والمربي!! وكم سيورث من الحب لذلك المعلم والإصغاء لنصحه وتوجيهه!!

فينبغي على المعلم إذا دخل الفصل ولو في الصـفوف الأولية أو ما قبل ذلك أن يســـلم على طلابه الصـــغار، وإذا مر بهم فليسلم اقتداءً بالمصطفى ▯.

2- لعب النـــبي ﷺ مع الصـــبيان ومداعبتهم:

إن للعب عند الأطفــال شــأنًا عظيمًــا، وإن كنا نــراه لعبًا ولهـوًا، إلا أنه عنـدهم جد وحزم، وهو في غـير مـأثم فيه فوائد كثـيرة للطفــل، ففيه التســلية والمتعة والتــدريب وتقوية الجسم والابتكار والإبـداع واكتسـاب المهارات وتفتق الذهن والعقل.

فإياك أن تستهين به، فتصـادم فطـرهم وتصادر حرياتهم، ولهذا أثره على تنشـئتهم، فـاللعب جـزء من حيـاة الطفـل، وأصل من أصولها، والمربي النــاجح من أب ومعلم هو الـذي يعـترف بلعب الأطفـال ويحترمـه، بل يشــارك الأطفــال لعبهم، ولكنه يوجهه إلى اللعب المفيد، ويبعدهم عن الألعاب الضارة في الدين أو الدنيا، فمن بـاب اللعب وأثنـاء اللعب يكـــون التوجيه والتربيـــة، فالتربية للأطفــال ليست محاضــرة تقــال ولا كلمة عـــابرة وينتهي الأمر عند ذلـــك، بل التربية ميــدانها أوسع ومجالها أرحب، فــاللعب من

ميادينهـــــــــا، والرحلة والنزهة والمواقف والوقائع من أرحب ميادينها وأوسعها.

فلذا نجد معلم البشرية ﷺ ومربيها اهتم بلعب الأطفال بل شاركهم في لعبهم ﷺ.

فعن أبي هريــرة رضي الله عنه قــال: كان رسول الله ﷺ ليـدلع لسـانه للحسن بن علي فيرى الصـبي حمـرة لسـانه فيهش له سلسلة الأحاديث الصحيحة (70).

وعن عمر رضي الله عنه قــــال: رأيت الحسن والحســــين رضي الله عنهما على عاتقي النبي ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكمـا، فقــــال عليه الصــــلاة والســــلام. «**ونعم الفارسان هما**» رواه أبو يعلى.

وعن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه قــال: كــان رســول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثــير بــني العبــاس رضي الله عنهم، ثم يقــول من ســبق فله كــذا وكــذا، قال فيسـتبقون إليـه، فيقعـون على ظهـره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم. رواه أحمد.

وكـانت عائشة رضي الله عنها «تلعب بالبنات وكان النـبي ﷺ يسـربهن إليها لتلعب معهن» متفق عليه.

وعن محمود بن الربيع قـال: عقلت من رسول الله ﷺ مجة مجها في وجهي من دلو بئر كانت في دارنـا، وأنا ابن خمس سـنين. رواه البخاري ومسلم.

ومر ﷺ على نفر من أســلم ينتضــلون بالسوق فقال ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًـا، ارمـوا وأنا مع بـــني فلان،** فأمسك أحد الفـــريقين عن الـرمي، **فقـال** :ﷺ **ما لكم لا ترمـون؟** فقـالوا: كيف نـرمي وأنت معهم؟ **فقـال: ارموا وأنا معكم كلكم**» رواه البخاري.

فـــإلى أولئك الـــذين لا يعرفـــون من التعليم والتربية إلا ما في قاعة المحاضرات وداخل الفصـــــول، وربما بعبـــــارات جافة وكلمـات نابيـة، وإلى أولئك الـذين شـغلوا بالــــدعوة والتعليم عن أهليهم وأســـــرهم واللعب مع أطفالهم - سقت هذه النصوص؛

ليعلمـــوا أن ميـــدان التربية والتعليم أوسع وأرحب من الفصول وقاعات المحاضــرات، فـاللعب أسـلوب من أسـاليب تعليم الطفل وتربيتـــــه، والجلسة مع الأهل والأســــرة أســـلوب من أســـاليب الـــدعوة والتوجيه والتربية.

قــال تعــالى: **لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَـنَةٌ..** الأحــزاب: 21].

ولقد اقتدى به أصحاب رضي الله عنهم فهــذا الفــاروق عمر رضي الله عنه يقــول: ينبغي للرجل أن يكــون في أهله كالصــبي، فــإذا التُمس ما عنــده وُجد رجلاً» رواه ابن أبي الـــدنيا، أي يكـــون في الأنس وطلاقة الوجه والخلق الكـــــريم والمداعبة لأولاده كالصبي، فإذا احتاج الأطفال للأدب فـإذا هو رجل.

3- مراعــاة الأطفــال والاهتمــام بشؤونهم وعدم احتقارهم:

كان ﷺ لا يحتقر الأطفال ولا يقلل من شأنهم ولو في الأمور السهلة البسيطة فهي عند الكبار أمور تافهة لا يؤبه لها، لكن لها عند الصغير شأنًا عظيمًا؛ ولذا كان ﷺ يسأل عن الطفل وعن اهتماماته.

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يكنى أبا عمير، وكان له نغر صغير يلعب به فمات، فدخل علينا النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينًا، فقال ما شأنه؟ قالوا: مات نغره، فقال يا أبا عمير ما فعل النغير؟ رواه البخاري ومسلم.

وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وفي رواية: أصغر القوم، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، فتله رسول الله ﷺ في يده.

الله أكبر، النـبي يسـتأذن غلامًا صـغيرًا، وقد ورد أنه ابن عبــاس رضي الله عنهمــا، ومع ذلك لا يؤثر بنصـيبه من النـبي أحـدًا، ويقف النبي عند رغبة الغلام، كم لهذا من أثر في نفس هـــذا الغلام من إشــــعاره أنه رجــل، وأنه يسـتأذن، وأن له قيمته وأهميته في المجتمع !!

ولذا أثـرت هـذه التربية في نفسـية ابن عباس رضي الله عنهما، فخلف الأشياخ في العلم والتعليم والتربيـــة، فكـــان رضي الله عنهما عـــــالم الأمة وحبرها وبحرها الزاخر بــالعلم، وترجمــان القــرآن رضي الله عنه وأرضاه.

ولما لم يجد كثير من شبابنا اليــوم مثل هــذا الاهتمــام من المــربي من أب ومعلم حـــاول أن يعـــبر عن قيمته وأهميتـــه، وأنه أصبح رجلاً بالتدخين تارة والتفحيط أخــرى، أو التمرد على الوالـدين والمعلم، أو ضـرب إخوانه الصغار والسيطرة عليهم، وغير ذلك

من التصرفات ليشعر المجتمع والأسـرة أنه رجل له قيمته وأهميته.

وما هكـذا يا سـعد تـورد الإبـل، ولكنها التربية الفاشـلة في تحطيم الطفل وعـدم الاهتمـام به وباهتماماتـه، وإنما هو التحطيم والإهانة فهكـذا نشـأ، فينبغي للمـربي والمعلم احـترام الطفل واحـترام اهتماماته وميوله ورغباته وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

قال ذو الإصبع العدواني لابنه في وصية لـه: (وأكـرم صـغارهم كمـا تكـرم كبـارهم، يكرمـك كبـارهم، ويكـبر على مودتـك صغارهم) ا.هـ.

ومن هاب الرجال
ومن حقر الرجال

ولعل هذا ينسـحب على الأطفـال، فمن احـترمهم احـترموه وأحبـوه واسـتفادوا من تربيته وتعليمـه، ومن حقـرهم حقـروه ولم يصـغوا لنصـحه وتوجيهه مهما كـان أبًا أو معلمًا.

4- تعليم الطفل وتأديبه:

اهتم ﷺ بتعليم الصغار وتأديبهم ما داموا مميزين، فهو القائل ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**» حديث حسن رواه أبو داود.

ودعا ﷺ عليًّا للإسلام وهو ابن عشر سنين، ويقول لابن عباس رضي الله عنهما يا غلام إني أعلمك كلمات: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك..**» الحديث رواه الترمذي، وابن عباس رضي الله عنهما عمره إذ اك كان قبل البلوغ؛ لأن الغلام يطلق على الصبي من الفطام إلى البلوغ، ومع ذلك علمه النبي ﷺ هذه الكلمات العظيمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ: «**كخ كخ أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة**» البخاري.

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنها قال: كنت غلامًا في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك.** قال: فما زالت تلك طعمتي» متفق عليه؟

وهكذا التعليم في رفق وشفقة، ما زجره وما نهره، بل بكل رفق (يا غلام سم الله) ولهذا استفاد من هذا الأدب: «فما زالت تلك طعمتي».

يقول أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا». متفق عليه.

ويقول: «ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا» متفق عليه.

وأنس رضي الله عنه بدأ في خدمة النبي ﷺ وهو غلام عمره عشر سنين فهل يتصور أن غلامًا عمره عشر سنين لا

يخطئ؟ ولكنه الخلق الكريم والصفح الجميل عما يمكن الصفح عنه.

يقول الحسن رحمه الله: «ما استقصي كريم قط» زاد المسير (8/309).

ويقول الشافعي رحمه الله: (اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل) أي يفطن للأخطاء ويتغافل عنها كأن لم تكن، وهذا في الأخطاء التي تقبل العفو والتسامح.

ويقول سفيان الثوري رحمه الله: «ما زال التغافل من شيم الكرام» صفوة التفاسير (18/80).

قال الشاعر:

ليس الغبي **لكن سيد قومه**

فإلى أولئك الذين يبحثون عن الزلات بالمناقيش، ويكيلون الصاع صاعين، ويردون السيئة بأقبح منها، ليرجعوا إلى هدي سيد الأنام، وهدي الكرام المتغافلين عن الزلات وأهل الصفح عن السيئات.

فإن تقصي الزلات عامة، وزلات الأطفال خاصة - وهم أهل زلل وخطأ - وتوبيخهم ومعاقبتهم على كل صغيرة وكبيرة، يجعلهم يألفون العتاب والعقاب فلا يتورعون بعد ذلك عن الخطأ والزلل، ولذا لا بد من التغافل عما يمكن التغافل عنه، والتنبيه بعد ذلك بطريق غير مباشر، فهذا أدعى للقبول بإذن الله.

قال الغزالي رحمه الله: «ولا تكثر عليه العتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام معه لا يوبخه إلا أحيانًا» أقوال في تربية الأولاد، جمع محمد المسند (18).

5- المحافظة على فطرة الطفل وأخلاقه:

يقول ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» متفق عليه.

عن عبدالله بن عامر قال: أتى رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبدالله تعال أعطك. قال ﷺ: «**ما أردت أن تعطيه**» قالت: تمرًا. قال: «**إما إنك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة**» رواه أبو داود.

ويقول ﷺ: «**ما نحل والد ولدًا أفضل من أدب حسن**» رواه أبو داود.

ويقول ﷺ: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**» رواه ابن ماجه.

ويقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن) فهذه النصوص دليل على أن المولود يولد على الفطرة، وتوجب على وليه من أب ومربٍّ المحافظة على تلك الفطرة بالأدب الحسن، والبعد عن الأخلاق الرذيلة، وعدم اتصاف المربي بذلك؛ لأنه قدوة يقتدي به الطفل، وبعض الآباء والمربين لا يتورع عن الكذب على الطفل أو إخلاف الوعد معه،

وهـذا أشد من الكـذب على الكبـير وإخلاف الوعد معه؛ لأن الكبـير قد يقـدر الظـروف، وإن لم يقـــدر فلا أقل أن يعـــرف أنها زلة وخطأ، فلا يقتدي بصاحبها.

أما الصغير فيرى والده ووالدته ومعلمه ومربيه قدوة في كل ما يقول ويفعل حسـنًا كان أو سيئًا، ولذا حذر النبي تلك الأم من الكــذب على ابنهــا، وأنها لو لم تعطه كتبت عليها كذبة.

6- الإهداء للأطفال وتشجيعهم:

الأطفــال من أشد النــاس تــأثرًا بالهدية والتشجيع والكلمة الحانية الطيبة، فكم تؤثر في نفوســهم أشد مما تــؤثر الســياط في جلودهم.

عن أبي هريــــرة رضي الله عنـــــه: أن رسول الله كان يؤتي بأول الثمر، فيقـول: **اللهم بــــارك لنا في مـــدينتنا، وفي مُدنا وفي صاعنا، بركة على بركة**، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان» رواه مسلم.

وذكر الخطيب في شـــرف أصـــحاب الحـديث قـال: (روى النضر قـال: سـمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قال لي أبي: يا بني اطلب الحـــديث، فكلما ســـمعت حـــديثًا وحفظته فلك درهم، فطلبت الحــديث على ذلك.

فينبغي للمربي أن يستعمل الهدية ولو قلت فلها أثرهـــــــا، والكلمة الطيبة فهي صــدقة، والألفــاظ المحببة نحــو: يا بــني يا أخي يا غلام، إني أحبـــك، كما قـــال ﷺ: «**يا معاذ والله إني أحبـك، ثم أوصـيك، يا معـاذ لا تـدعن في دبر كل صـلاة أن تقـــول؛ اللهم أعـــني على ذكـــرك وشكرك وحسن عبادتك**» رواه أبو داود والنسائي.

ويقول له: إني لك ناصح، كما قــال الله عن هــود عليه الســلام أنه قـال لقومــه: ﴿ **وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** ﴾ الأعراف: 68، أو ص يمسك بيـــده أو يمسح على رأسه كما قــال عبدالله بن مســعود رضي الله عنــه:

علمني رسول الله ﷺ التشهد كفي بين كفيه كما يعلمــني الســورة من القــرآن» رواه البخاري.

فمثل هذه الكلمـات الطيبة واللمسـات الحانية لها أثرها على المتعلم عمومًا وعلى الطفل خصوصًا، وعلى المـربي والمعلم أن يبعد عن الألفـاظ السـيئة الـتي لا تليق أن تخــرج من فيه كمعلم ومــربٍّ، ولا تليق أن يوصف بها المتعلم، وعليه أن يتغافل عن الزلات أحيانًا ويعرِّض بذلك ما اسـتطاع إلى ذلك سبيلاً.

يقول الغزالي رحمه الله: (إن من آداب المعلم أن يزجر المتعلم عن ســيئ الأخلاق بطريق التعــــريض ما أمكن ولا يصــــرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ).

ضــــرب الأطفــــال من الوجهة الشرعية:

الضــرب علاج لبعض النفــوس، وجــزاء لبعض المخالفــات وقد أقــره الإســلام في بعض الحدود كالزنا، والقذف، وفي كثير من التعزيرات قال تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ** ﴾ [النــور: 2] وقــال تعــالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً** ﴾ [النــور: 4] فلــذا لا يجــوز إنكــاره لأنه حكمٌ عُلِمَ من دين الإسلام بالضرورة.

أما في مجال التربية والتعليم فليس هو السـمة البـارزة ولا الوسـيلة الدارجـة، فالأصل في التعليم والتربية الوعظ والإرشـاد والتوجيه والتشـجيع وتعزيز السلوك، والتنفير من السـلوك السـيئ، ولا يُلْجَـأُ إليه إلا في حـدود ضـيقة وبشـروط معينـة، وآخر ما يُفَكَّرُ فيه فهو دواء مـر، والـدواء المر آخر العلاج كما قيـل: (آخر الدواء الكي).

قـــال تعـــالى: **وَاللَّاتِي تَخَـــافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُـوهُنَّ وَاهْجُـرُوهُنَّ فِي الْمَضَـاجِعِ وَاضْـرِبُوهُنَّ فَـإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا** [النساء: 34].

ففي هــذه الآية الكريمة يــبين الله جل وعلا أن آخر ما يلجأ إليه الزوج في تـأديب زوجته الضــرب، بعد الوعظ والإرشـــاد، ثم الهجــر، فــإذا لم يُجْــدِ شــيئًا، فله بعد ذلك الضرب غير المبرح.

ويقـول : «**مـرو أبنـاءكم بالصـلاة وهم أبنـاء سـبع سـنين، واضـربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضـــــاجع**» رواه أبو داود بإسناد حسن.

ففي هذا الحديث الشريف أمرنا بـأمر الأولاد بالصلاة، وهم أبناء سـبع سـنين وهـذا الأمر فيه الوعظ والإرشاد والتوجيـه، وبيـان فضائل الصلاة والتحذير من تركها والتهـاون بهـا، وبيـان عقوبة من فعل ذلـك، هـذا كله خلال ثلاث ســنين، وبعــدها ســوف يحب

الطفل الصـلاة ويحافظ عليهـا، ولكن بعض النفوس قد لا تستجيب لذلك، فهنا لا بد من التــأديب ولو بالضـــرب، ولكن بعد أن يبلغ عشر سـنين، فهـذا يـدل على أنه لا يُضـرب على شـــيء من الأوامر وهو أقل من عشر ســــنين؛ لأن الصـــــلاة هي آكد الأوامر الشـرعية، ومع ذلك لا يضـرب عليها إلا وهو ابن عشر سنين.

سئل أبو عبدالله الإمام أحمد رحمه الله عن ضــرب المعلم للصــبيان فقــال: «على قدر ذنـوبهم، ويتـوقى بجهـده الضـرب، وإن كــان صــغيرًا لا يعقل فلا يضــربه» الآداب الشرعية لابن مفلح.

ومن هديه في التعليم والتربية عـــدم الضــرب، بل التعليم والتــأديب بالحســنى والكلام الطيب، كما مر معنا ســــابقًا في قصة عمر ابن أبي ســلمة والحسن عنــدما أكل التمرة من الصدقة وغير ذلك، وأكثر ما وصل إليه النبي شد الأذن.

يقول عبدالله بن بسر: «بعثتني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه إلى رسول الله ﷺ، فلما جئت أخذ بأذني وقال: **يا غدر**» كتاب ابن السني.

تقول عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة» الشمائل المحمدية للترمذي.

ضوابط الضرب:

الضرب علاج لا يُلجأ إليه إلا في حدود ضيقة، وضوابط وشروط معينة، فإن طبقت تلك الضوابط نفع الله به، وإلا كان ضرره أكبر من نفعه، فهو كالدواء تمامًا إذا لم تتبع فيه إرشادات الطبيب كان ضرره أكبر من نفعه، وربما قتل.

والضرب بدون ضوابط قد يقتل، ولا أقول يقتل الجسم - وإن كان هذا متوقعًا - ولكنه يقتل الشخصية، ويقتل المواهب، وإذا تعود عليه الطفل استهان به وأصبح لا

يتـــــأثر به ولا يأبه لـــــه، وجنح به ذلك إلى العدوانية وكراهية المــــــربي له والـــــدًا أو معلمًـــــا، ثم يعمم ذلك على كل مـــرب، بل ويعممه على المجتمع أجمع.

والنـــــبي ﷺ يقـــــول: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فـإذا قتلتم فأحســـــــنوا القتلـــــــة، وإذا ذبحتم فأحســـنوا الذبحـــة، وليحد أحـــدكم شفرته وليرح ذبيحته**» رواه مسلم.

فهذا الحديث يدل على عموم الإحسان في كل شيء حــتى من يقتل ومن يذبح يجب أن يحسن ذلـك، إذًا الضـرب يـدخل في هـذا العمـوم فيجب فيـه الإحسـان، وإذا كـان الضـرب بضـوابطه الشرعية كان فيه إحسان إلى المضروب بل ورحمة به، لأنه ينتفع به كما ينتفع بالدواء إذا أحسن استعماله.

قسا ليزدجروا ومن
فليقس أحيانًا على

وإليك بعض هذه الضوابط:

1- أن يكون الضرب للتأديب لا للتعذيب والانتقام.

2- أن يكـون الطفل يعقل ويـدري فيما ضرب يقول ﷺ: «**مروا أبنـاءكم بالصـلاة وهم أبنـاء سـبع سـنين واضـربوهم عليها وهم أبنـــاء عشر ســـنين**» الحـديث، فـالنبي عليه الصـلاة والسـلام لم يأمر بالضـرب على هـذه الفريضة العظيمة إلا بعد العشـر. وسـئل الإمـام أحمد رحمه الله عن ضـرب المعلم للصـبيان فقـال: (.. وإن كان صغيرًا لا يعقل فلا يضربه)؛ الآداب الشرعية.

3- أن يكـون بعد الوعظ والإرشـاد وقد تقدم بيان ذلك.

4- أن لا يكـون وقت الغضب لأنه بـذلك لا يكون للتأديب وإنما يكون للانتقام وشـفاء الغليـــل، ولأن الغضـــبان قد يسترسل في الضرب فيضر المضروب.

عن أبي مسعود البـدري رضي الله عنه قـــال: كنت أضـــرب غلامًا لي بالســـوط فسمعت صوتًا من خلفي: اعلم أبا مسعود، فلم أفهم الصـوت من شـدة الغضب قـال:

فلما دنا مـني، فـإذا رسـول الله فـإذا هو يقـــول: «**اعلم أبا مســـعود، اعلم أبا مسعود**» فألقيت السـوط من يـدي، وفي رواية: فسقط السوط من يـدي من هيبتـه، فقال: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقـدر عليك منك على هذا الغلام**» فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبــدًا، وفي رواية قلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال: «**أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار**» مسلم.

ومع أن ضرب المملوك للتـأديب جـائز، ولكنه لما اشتد غضبه رضي الله عنه اشــتد ضربه فقال له النبي ما قال.

وهم عمر بن عبـدالعزيز رضي الله عنه بضرب إنسان ثم تركه فقـال: «وجـدت في نفسي عليه غضـبًا، فكـرهت أن أضـربه وأنا غضبان».

5- أن لا يزيد فــوق عشر جلــدات، لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله : «**لا يجلد فـوق**

عشر جلــدات إلا في حد من حـــدود الله» متفق عليه.

وفي المســـــألة خلاف بين أهل العلم، والراجح عدم الزيادة قـال صـاحب المغـني (.. بل المــــذهب أنه لا يــــزاد على عشر جلدات اتباعًا للأثـر) واسـتثنى بعض، وليس هذا موضع بحث هذه المسألة.

بل يــرى بعض العلمــاء أن لا يــزاد على ثلاثة أسواط لتـأديب المتعلم، قـال ابن أبي زيد في كتابه حكم المعلمين والمتعلمين: (لا ينبغي لمـــؤدب الصـــبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط).

ويــرى القاضي شــريح رحمه اللــه: (ألا يضرب الصبي على القرآن إلا ثلاثًا) الروض الأنف للسهيلي (1/272).

6- أداة الضـرب: قـال ابن قدامة رحمه الله: (المسألة الثالثة أن الضــرب بالســوط لا نعلم خلافًا في هذا..) المغـني (12/508) ثم ذكر رحمه الله صفة هذا السوط، فقال: (.. إذا ثبت هذا فإن السـوط يكـون وسـطًا،

لا جديـدًا فيجـرح، ولا خلقًا فيقل ألمـه، لما روي أن رجلاً اعـــترف عند رســـول الله ﷺ بالزنـا، فـدعا له رسـول الله بسـوط، فـأتى بسـوط مكسـور، فقـال: فـوق هـذا، فـأتى بسوط جديد لم تكسر ثمرته، فقـال: «**بين هـــــذين**» رواه مالك عن زيد بن أســــلم مرســـلاً، وروي عن أبي هريـــرة رضي الله عنه مسندًا؛ المغني: (12/510).

7- كيفية الضرب: أن يكون الضرب غير مبرح قال ﷺ: «**.. واضربوهن ضربًا غـير مـبرح**» رواه مســلم. قـال الحسن رحمه الله: (غير مؤثر) تفسير ابن كثير (2/295).

وكـان عمر رضي الله عنه يقـول: (لا ترفع إبطك).

قـــال ابن قدامة رحمه اللـــه: (ولا يرفع باعه كل الرفـع، ولا يحطـه، فلا يـؤلم. قـال أحمد: لا يبـدي إبطه في شـيء من الحـدود يعني لا يبالغ في رفع يديـه، فـإن المقصـود أدبه لا قتله؛ المغني (12/510).

ويجب عليه تجنب الـــــــرأس والوجه والأعضــاء الحساسة قــال ﷺ: «**إذا ضــرب أحـــــدكم فليتق الوجه**» رواه أبو داود. ولأن الضــرب في هـذه الأعضــاء قد يضــر، والمقصـود الأدب لا الضــرر، ولا يجـوز مـده ولا ربطه ولا تجريده.

قــال ابن قدامة رحمه اللــه: (المســألة الثانيــة: أنه لا يمد ولا يربــط، ولا نعلم عنهم في هذا خلافًــا، قـال ابن مسـعود: ليس في ديننا مد ولا قيد ولا تجريد) المغــــــني: (12/508).

فمما سبق يتــبين لنا أنه لا يجــوز الربط والمــد، وهو ما يعـرف في بعض المــدارس قـديمًا باسم (الفلكـة) وكـذا لا يجـوز الركل بالأرجل واللكم بالأيــــــدي من أي موضع طاشت الرجل أو اليـد، أو الضـرب بالنعـال فإن فيه إهانة.

ومما ذكر من النصـــوص ســـابقًا في الضـرب في الحـدود، فكيف بالضـرب فيما

دون ذلك من الأخطـــاء الـــتي تعـــرض للمتعلمين غالبًا خاصة الأطفال منهم.

8- أن يتجنب الألفــاظ البذيئـــة: يجب على المـــربي أن يتجنب الألفـــاظ البذيئة والسب والشـــتم، ولو حـــال التـــأديب والضـرب، فليكـرم نفسه عما لا يليق بمثله كمـرب ومعلم، ويكـرم المتعلم عن وصـفه بتلك الأوصاف، فإنه يقصد بضربه التأديب لا التحقـــــير والإهانة والإذلال للمتعلم، فهو كالطبيب الذي يعالج المـريض بما قد يؤلمه وهو مشفق عليه راحم له؛ لأنه يريد شفاءه بإذن الله.

وعن عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النـبي كـان اسـمه عبدالله، وكـان يلقب حمـارًا، وكـان يضـحك النـــبي ، وكـــان النـــبي قد جلـــده في الشراب، فأتى به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القـــوم: اللهم العنـــه، ما أكـــثر ما يـــؤتى بـــه، فقـــال النـــبي : «**لا تلعنـــوه**

فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» رواه البخاري.

والمعنى أنه يحب الله ورسوله وقد تكلم ابن حجر رحمه الله عن (ما) بكلام طويل في الفتح (12/95) ليس هذا موضعًا لبسط الحديث عنها.

ويهمنا في هذا الحديث أن هذا الرجل على كثرة شربه للخمر وإقامة الحد عليه نهى النبي ﷺ عن لعنه، وبين أنه يحب الله ورسوله.

وفي حديث آخر رواه البخاري قال ﷺ: لما قال رجل له: أخزاه الله فقال ﷺ: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**».

فإذا كان النبي ﷺ نهى عن لعن شارب الخمر، وقد تكرر منه، وعن الدعاء عليه بأن يخزيه الله، فالطالب الذي ما وصل خطؤه إلى هذا ولا قريبًا منه من باب أولى.

ومن المحاذير التي تقع كثيرًا ويحرج أمامها المعلم عندما يرد الطالب على

أسـتاذه بنفس اللفظ الـذي تلفظ به عليـه، فقد يقـول المعلم يا كـذا.. فيقـول الطـالب وأنت كذا.. فما موقف المعلم من هذا؟

أليس إحراجًا له أمام طلابه، وقد يكـون أمـام زملائه أيضًـا؟ فهو في غـنى عن هـذا، فينبغي للمعلم أن يكـــرم لســـانه عن مثل هـــذا، وكما قيل كل إنـــاء بما فيه ينضـــح، فـــالمعلم المـــربي ينضح بـــالعلم والكلام الطيب الحسن.

9- أخذ العــذر قبل الضــرب وقبوله إن كـان وجيهًا والتحقـق، فهـذا النـبي يـدعو حـاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عنـدما أرسل كتابًا إلى أهل مكة يخـــــــبرهم فيه بمسير النبي إليهم لفتح مكة، وهذه خيانة عظيمة وإفشــاء لسر المســلمين لعــدوهم المشركين، ومع ذلك يقول النبي له: «**ما حملك على ما فعلت؟** قال: والله ما بي إلا أن أكـون مؤمنًا بالله ورسـوله، أردت أن تكـون لي عند القـوم يد يـدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصـحابك إلا له

هنالك من عشـــيرته من يـــدفع الله به عن أهله ومالــه» فقـال ﷺ: «**صدق لا تقولـوا إلا خيرًا**» فقال عمر رضي الله عنه إنه قد خـــان الله ورســـوله والمؤمـــنين فـــدعني فلأضـــرب عنقه فقـــال: «**أليس من أهل بـــدر؟ لعل الله اطلع على أهل بـــدر فقـال: اعملـوا ما شـئتم فقد وجبت لكم، أو قد غفرت لكم**» متفق عليه.

فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسـوله أعلم.

ففي هذه القصة أخذ النبي ﷺ العـذر من حـــاطب رضي الله عنه قبل أن يعاقبـــه، ثم قبله منه على عظم الجـــــــرم لما رأى من صدقه وقوة الـدافع له على ذلـك، ثم شـفع له سابقته إلى الإسلام وشهوده بدرًا.

فعلى المعلم والمربي أن يسأل تلميـذه عن سبب الخطأ، فـإن رآه وجيهًا قبله منـه، وكـــذلك إن كـــان له حســـنات فلتشـــفع له عنده، وإن كان قليل الخطأ معروفًا بـــالأدب والأخلاق الطيبة، فليصـفح عنه كما جـاء في

الحديث الصـحيح «**أقيلوا ذوي الهيئـات عـثراتهم إلا الحـدود**» صـحيح الجـامع الصغير.

قال الشاعر:

وإذا الحبيب أتى
جاءت محاسنه بألف

10- إذا صـدق في عـذره وطلب العفو أو ذكر اللـه، فينبغي أن يعفى عنه قـال ﷺ: «**إذا ضـرب أحـدكم خادمه فـذكر الله فارفعوا أيديكم**» رواه الترمـذي. لما في ذلك من تعظيم الله عز وجل وإجلاله، فـإن الطـالب إذا اسـتجار بالله أو ذكـرك بالله العفو والصفح فعفـوت عنـه، كـان في ذلك تربية لك ووقوفًا عند حـدود اللـه، وتربية للطـالب في تعظيم شـعائر اللـه، ويـذكره ذلك بـاللجوء إلى الله في كل نائبة تنوبـه، وكل مشكلة تعرض له.

وفي صـحيح البخـاري قصة عينية بن حصن لما قـال لعمر رضي الله عنـه: هي يا ابن الخطـاب، فوالله ما تعطينا الجـزل، ولا

تحكم بيننا بالعــدل، فغضب عمر رضي الله عنه، وهم أن يوقع به، فقال الحر بن قيس: يا أمـير المؤمـنين، قـال الله لنبيـه: **خُـذِ الْعَفْـوَ وَأْمُـرْ بِـالْعُرْفِ وَأَعْـرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ، وإن هذا من الجـاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتـــاب الله عز وجـــل، والقصة بطولها في صحيح البخاري (4642).

وهـذا ما ينبغي أن يكـون عليه المـربي من الحلم والرفق والصفح وقبـول الأعـذار، بل إن إخلاف الوعيد من شيم الكرام.

قال الشاعر مادحًا نفسه في التزامه بتنفيـذ الوعـد وإخلاف الوعيد:

وإني وإن أوعدته أو
لمنجز ميعادي ومخلف

ومما يجب كـذلك قبل العقـاب التحقق من الـذنب، قـال تعـالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـأٍ فَتَبَيَّنُـوا أَنْ تُصِـيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَـةٍ فَتُصْـبِحُوا**

عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات: 6]
ومعنى تبينوا أي تثبتوا.

وعند الاشتباه وعدم التحقيق فالأولى العفو، فإن الخطأ في العفو أخف بكثير من الخطأ في العقوبة، ولتتصور طفلاً عوقب ولو عقوبة يسيرة بذنب لم يفعله، كم سيؤثر على نفسيته بل على تصرفه بعد ذلك وعدم تثبته من أي أمر؛ لأنه رأى معلمه ومربيه وقدوته كذلك.

الخاتمة

إن الإنسان كلما كان ضعيفًا كان أحــوج إلى الرحمة أكـــــــــــثر، وإن الطفل من المستضعفين الذين لا يســتطيعون حيلة ولا يهتـدون سـبيلاً، فما أحوجه إلى الرحمة وما أحوجه إلى الرعاية الشـــــاملة وإلى القلب الـــرحيم وإلى اليد الحانية والحكمة الطيبة الهادئـــة، وإلى من يتفهم نفســيته ويقــدر اهتماماته الصــغيرة في لعبه ولهــوه، فلها عنده شأن كبير، وإلى من يؤانسه ويضاحكه ويشاركه في لعبه ويتصابى معه، ولا يصادم فطرته ولا يعـــاكس جبلتـــه، ولكن يوجهها ويهـذبها، يعطيه قيمتـه، ويشـعره بأهميتـه، يعفو عن أخطائـــــــــه، ويتغافل عن زلاته العفوية التي تحصل لمن كان في ســنه من واقع طفولته وبراءتـــه، وإن كـــان لا بد من عقـاب على خطأ لا يمكن التسـامح عنه ولا التغافل عنـــه، فعقـــاب الـــرحيم الرفيق بضوابطه الشـرعية، قسـوة في رحمة ولين في حزم، بذا يتخرج هذا الطفل بتوفيق الله

رجلا سـوِيًّا خاليًا من الأمـراض العصـبية والعقد النفسـية، محبًّا لأسـرته ومجتمعه ومعلمه ومربيـه، بعيـدًا عن الغل والحسد والعنف والعدوانية وحب الانتقام.

وهكـذا خـرج الرجـال الـذين تربـوا في حجر النبي أمثال الحسن والحسين وأنس بن مالك وعمر بن أبي سـلمة وابن عبـاس وأسـامة بن زيد وغـيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

فإلى سـيرة المصـطفى نسـتلهم منها معين التربية الصافي في السـلوك والآداب والأخلاق، لتكون خـير أمة أخـرجت للنـاس: ** لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَنْ كَـانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَـوْمَ الْآَخِـرَ وَذَكَـرَ اللَّهَ كَثِـيرًا ** [الأحـزاب: 21].

وصـلي الله وسـلم على نـبي الرحمـة، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الفهرس: